حرف اللام

(٣٨٢)

(لُطْفُ الباري بن أحمد بن عبد القَادِر الوَرْد الثلائي)

ثم الصنعاني خطيب صنعاء وأحد مشاهير علمائها. نشأ بثلا وأخذ العلم عن جماعة من أهلها، ثم ارتحل إلى صنعاء وأخذ عن جماعة من العلماء، وأكثر من ملازمة السيد العلَّامة القَاسِم بن مُحمَّد الكبسي وبه انتفع. وأخذ عن القاضي العلَّامة أحمد بن مُحمَّد قَاطِن. وبرع في جميع العلوم لا سيما علم الحديث والتفسير فإنه فيهما من المبرزين. وبعد ارتحاله إلى صنعاء جعله الإمام المهدي العبَّاس بن الحَسَن خطيباً بجامع صنعاء، فاستمرّ على ذلك حتى مات الإمام المهدي، ثم استمر في خلافة الإمام مولانا خليفة العصر المنصور باللَّه حفظه اللَّه إلى أن (مات) في يوم السبت سادس شعبان سنة ١٢٢١ إحدى وعشرين ومائتين وألف، فأقام مولانا في الخطابة ابن صاحب الترجمة العلَّامة الخطيب المصقع أحمد بن لُطف الباري كما تقدم في ترجمته. وكان صاحب الترجمة متفرداً في أمور منها الورع الشحيح والاشتغال بخاصة النفس، والإقبال على العبادة والاستكثار من الطاعة وحسن الخلق والتواضع والبشاش والانجماع عن الناس إلّا فيما لا بُدَّ منه وحفظ اللسان عن الهفوات والكبوات، لا سيما بما فيه تبعة كالغيبة والنميمة فإنه لا يحفظ عنه في ذلك شيء، بل لا ينطق لسانه إلَّا بذكر اللَّه والتذكير أو بإملاء تفسير كتاب اللَّه وأحاديث رسول اللَّه، وليس له التفات إلى شيء من أحوال بني الدنيا. ولم يكن له شغل سوى أعمال الآخرة، ولوعظه في القلوب وقع، ولكلامه في النفوس تأثير، مع فصاحة زائدة وحسن سمت ورجاحة عقل وجمال هيئة ونور شيبة وملاحة شكل وكمال خلقة؛ والحاصل أنه من محاسن الدهر، ولم يخلف بعده مثله في مجموعه. وله أتم عناية وأكمل رغبة بالعمل بما جاءت به السنة والمشي على نمط السلف الصالح، وعدم التقليد بالرأي. وله في حسن التعليم مسلك حسن لا يقدر عليه غيره. وقد تخرَّج به جماعة من أكابر العلماء كشيخنا العلَّامة القَاسِم بن يَحْيَى الخَوْلَاني، والسيد العلَّامة عبد اللَّه بن مُحمَّد الأمير، وولده العلَّامة أحمد بن لُطف الباري، وغير هؤلاء من

علماء العصر. وأنا سمعت مجالس تفسيره القرآن ومواقف إملائه للحديث، ولكن كان ذلك حضوراً فقط. وكان يبذل نفسه في قضاء حوائج من يستعين به، ويبالغ في ذلك. ولم يترك طريقاً من طرق الخير إلَّا سلكها وفاق فيها.

ووالد صاحب الترجمة كان من أكابر العلماء، أخذ عن جماعة من أهل العلم منهم المحدّث الكبير عبد الرَّحْمن بن مُحمَّد الحَيْمي المتقدم ذكره، والمحقق العلَّامة صَالح بن مَهْدي المقبلي، وكان يُحيي الليل يَدْرُس كتاب اللَّه، وإذا غلبه النوم نامَ متكئاً قليلاً ثم يعود للتلاوة. وحصل بخطه كتباً في عدة فنون. وكان يخطب بمدينة ثَلا، واستمرّ على ذلك حتى توفَّاه اللَّه تعالى.

(٣٨٣)
(لُطْفُ اللَّه بن أحمد بن لُطْف اللَّه بن أحمد بن لُطْف اللَّه بن أحمد جحَّاف)[١]

الصنعاني المولد والدار والمنشأ. ولد نصف شعبان سنة ١١٨٩ تسع وثمانين ومائة وألف، وأخذ العلم عن جماعة من علماء العصر منهم شيخنا العلَّامة السيد عليّ بن إبراهيم بن عَامِر، والسيد العلَّامة عليّ بن عبد اللَّه الجلال، وشيخنا العلَّامة القاسِم بن يَحْيَى الخَوْلَاني، والسيد العلَّامة إبراهيم بن عبد القادر، وغير هؤلاء من أعيان العلماء. ولازمني دهراً طويلاً فقرأ عليّ في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والحديث، وبرع في هذه المعارف كلّها، وصار من أعيان علماء العصر وهو في سنّ الشباب. ودرس في فنون وصنّف رسائل أفرد فيها مسائل، ونظم الشعر الحسن، وغالبه في أعلى طبقات البلاغة. وباحث كثيراً من علماء العصر بمباحث مفيدة يكتب فيها ما ظهر له ثم يعرضها على مشايخه أو بعضهم، ويعترض ما فيه اعتراض من الأجوبة. وقد كتب إليّ من ذلك بكثير بحيث لو جمع هو وما أكتبه عليه من الجوابات لكان مجلداً. ولعل غالب ذلك محفوظ لديه، وعندي منه القليل. وهو قوي الإدراك جيد الفهم حسن الحفظ مليح العبارة فصيح اللفظ بليغ النظم والنثر ينظم القصيدة الطويلة في أسرع وقت بلا تعب، ويكتب النثر الحسن والسجع الفائق بلا تَرَوٍّ ولا تفَكُّر. وهو طويل النفس ممتع الحديث كثير المحفوظات الأدبية، لا يتلعثم ولا يتردد فيما يسرده من القصص الحِسَان، ولا ينقطع كلامه، بل يخرج من الشيء إلى ما يشبهه، ثم كذلك حتى ينقضي المجلس وإن طال. وله ملكة في المباحث الدقيقة مع سعة صدر إذا رام من يباحثه أن يقطعه في بحث لم ينقطع بل

(١) ترجمته في: الأعلام: ٥/ ٢٤٢؛ نيل الوطر: ٢/ ١٨٩.